

تاريخ

حياة اللورد كاتشنر

بقلم

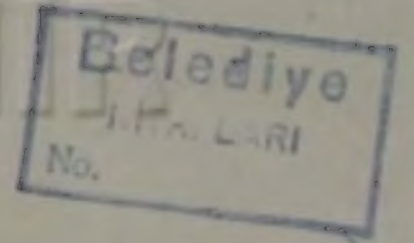
عبد العظيم النمر اوى

سنة ١٩٦١

طبعة الفاروق للنشر والتوزيع



İSTANBUL
BÜYÜKŞEHİR
BELEDİYESİ
ATATÜRK KİTAPLIĞI



Belediye
KITAPLARI
No.



اللورد كنشئر

ولد عام ١٨٥٠ — توفى عام ١٩١٦



BUL
SEH
YESİ
İTAPLIĞI

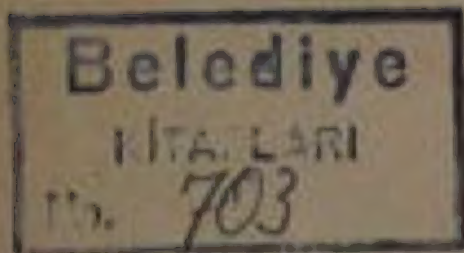
Belediye
KİTAPLARI
No.

تاريخ

حياة اللورد كتشندر

بقلم

عبد الحليم العمراوى



يطلب من ملزم طبعه

المكتبة

مكتبة المطبعة المعارف ومكتبة المطبعة

« حقوق الطبع محفوظة للملزم »

763

سنة ١٩١٦

مطبعة المعارف بشارع البغداد بمصر



EBUL
ŞEHİR
YESİ
KİTAPLIĞI

اللورد كيتشنر

الفصل الأول

طفولته ونشأته

هوراثيو هربرت كيتشنر انجليزى الأصل ولكنه ايرلاندى

المولد والنشأة . ولد فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٨٥٠

فى منزل اسمه جونبورڤ لودج « Gunsborough House »

الأبيض اللون . المربع الشكل . الواقع على بُعد ثلاثة أميال ونصف

ميل من بلدة لستول « Listowel »

من هذا يستدل على ان لاصحة لما ذكره بعض المؤرخين من

انه وُلد فى ولاية كبرى « County Kerry » بمنزل كروتر

« Crotter House » والذي وُلد فيه حقيقة هو أخوه الأصغر

الجنرال ف . والتر كيتشنر « General F. W. Kitchener »

واللورد كيتشنر هو ثمانى أولاد اليفتنانت كولونيل هنرى هوراثيو

كثشتر من كوسنجتن التابعة للسشرشير Cossington
« Leicestershire » خدم في الهند ملتحقاً بفرقة بيادة ومنها انتقل
الى فرقة خيالة وبعد مدة استقال من الجيش وعاد الى انجلترا
اقترن بزوجة انجليزية تدعى فرانسيس « Frances » ابنة
جون شفالير « John Chevallier » العريق المجد والكريم المحتد
سافر ذات مرة هنري هوراتيو كثشتر الى ايرلاندا بعد المجاعة
والاضطراب الذي حدث فيها عام ١٨٤٧ وقد قصد دبلن فعلم
هناك ان اراضى ولايتى ليمريك « Limerice » وكبرى
« Kerry » معروضة للبيع في المحاكم فابتاع منها مساحة يقدر ثمنها
بمبلغ ثلاثة آلاف من الجنيهات وكان ذلك عام ١٨٤٨
اقترض مبلغاً من المال من المستر بيرس ماهوني Mr. Pierce
« Mahony » وشيد منزل جونبورد لودج الذي ولد فيه كما ابناء أولاً
اللورد كثشتر وذلك بعد عامين
نشأ اللورد مبالاً للحركة جداً لا يهدأ للراحة ولا يستريح من
وعناء تعب القفز والجري والغدو والرواح ولو لحظة بل ولا طرفة عين
ونحن لا نغالى في قول ذلك بل هاك شهادة أحد معارف أبيه وفيها
يقول « هربرت كثشتر رجل هذو ربع ساعة فقط »

ولاشدة ميله لما فات تأخر في الدرس عن بقية رفاقه ورسب في
الامتحان الابتدائي مراراً ولولا تهديد أبيه ووعيده له بكل سوء
إذا لم ينجح لما نجح ويظهر ان الوعيد الذي أثر في نفس كتشنر
كثيراً هو قول أبيه له « إذا فشلت في الامتحان المقبل فاني
مودعك مع الخراف والنعاج والأبقار في مدرسة الحيوانات المجاورة »
ومن يومئذ نشط اللورد وجد واجتهد وكفاه فخراً بمجزمه وعزمه انه
الولد الثاني ولكنه مخلص ذكرى عائلته الأول تخليداً سيدي أبي الدهر
تذكره الأجيال مع تعاقب طوال الأيام والليالي

نما وترعرع اللورد على صفات جمعها أحد أصدقاء العائلة في
كلتي « الرجل الحق » وقد قل صديق حميم للورد نشأ معه « عرفت
كتشنر فعمده جاداً مجتهداً » وذكر أحد مؤرخي حياته ما يأتي :
« كان هربرت كتشنر في نشأته هادئاً ساكناً شغوفاً بالمطالعة
داخل المنزل وعلى العكس في خارجه محباً للعب ولكن لعب الألعاب

الرياضية »

للورد ثلاثة اخوة وأخت واحدة والأولون هم شغالير وهو أكبر
اخوته سنّاً وقد انتقل اليه هذا الاسم من ناحية أمه ثم ارثر ووالتر
أما الأخت فتدعى المس ملى

تعودت هذه الاخوة ابان الصغر أن يتريضوا في ضواحي منزلهم
وكانت تربة غبراء وشجرة خضراء وأحياناً في الصيف قبل شروق
الشمس يمتطون عربة تجرها جياد مطهمة فتسير بهم الى حيث تتلاطم
أمواج المحيط الأطلسي الأزرق ويعودون عند حلول ميعاد تناول الفطور
ولما أينعت أزهارهم كان ما احتقبه أبوهم من النقود أوشك على
النفاذ غير أنه في مرابط الخيل بقي حصان واحد وعربة واحدة
لا يركبها الأولاد الآن نادراً

كتب المستر جيريمياه او كيني من الترافي Mr. Jeremiah

O'Keefe. of Tralee في جريدة الرجل الحر Freeman's

Jurnal شيئاً عن هذه النزه التي تعودتها عائلة كنيشر وكان

مما جاء في هذه المقالة ما يأتي :

« لما كان اللورد كنيشر في نشأته قاطناً بالمنزل كروتا اعتاد هو

واخوته أن يركب العربة الى بانستراند واليها يكونون قد قطعوا

سبعة أميال بين مروج خضراء وماء جارية بيضاء . كنت أيتامشدر

صغيراً أذهب الى المدرسة سعياً على الاقدام وكتبي تحت ابطي

الأيسر وفي يدي المبنى نصيب أستاذي (١) . كنت قروياً . كم من

(١) العادة كما يسميها الفلاحون والجرارية كما يسميها المصريون

مرة سرت ازاء عربة هذه العائلة السعيدة وكم من مرة رأيتهم
يستحمون في النهر ويسبحون وكانوا جميعاً ماهرين »

كان هناك على مقربة من دارهم مدرسة بروتانت يديرها
قسيس يدعى ويليام رابونفد حاز ثقة الناس جميعاً ف جاء به الليقنانت
كولونيل هنري هوراتيو كتشنر ليأخذ أولاده مبادئ التعليم غير
أن مدة تعليمه لم تطال معهم اذ فاجأته المنية وكان قد جى قبله
بكثير من المربين والمربين فخلص بالذكر منهم المسنر ألين فيرمان
والس تكز

تعلم كتشنر وأخوته بعض الشؤون الزراعية لأن أباهم الكولونيل
كتشنر افتتح وجماعة من الجنود المستقيمين بالتجارة في المحصولات
الزراعية وفي أيام ميلاد ولده الثاني صاحب النارج ابتاع محصول
بالبجوخلان « Ballygoughlan » الواقعة على مقربة من تاربرت
« Tatterton » وأخذ في التجارة وحيداً غير متخذ من الأعوان
الآ اثنان وقع عليهما اختياره وما اختارهما إلا لالمامهما التام بهذه
التجارة وفعل ربح ربحاً عظيماً دعاه الى تأسيس فاوريقه لصنع
الفخار عند تاربرت

لم يتلق الاورد كتشنر شيئاً من العلم في كنيته ويلتجئون للأطفال

وكذلك ليس من الصحة ما يقرره بعض المؤرخين من أنه تعلم في
هارو على الدكتور باتلر المدرس الآن في ترينيتي ونحن لم نقل ذلك
الآن بناءً على تصريح صريح به الدكتور باتلر لأحد مؤرخي حياة
اللورد وهو المستر هوريس جروسر

سافر اللورد من أيرلندا وهو في الثالثة عشرة من عمره إلى
الجراند كلوس عند فيلنيف « Grand Clos, Villeneuve »
حيث تعلم هو وأخوته أيضاً زمناً طويلاً على الأستاذ بينيت
« J. Bennett » وهناك في عام ١٨٦٤ طرأ البرق اليهم خبر
وفاة أمهم ومن يوم ذلك انهم المشتوم التي كئشتر نظرائه الأخيرة
على مياه بحيرة جنيف ثم قم الألبين اذ عاد الى لندن واختير له
الأستاذ جورج فروست القاطن بمنزل نمرة ٢٨ بريدان كنسجنون
وانتقل من بين يديه الى الاكاديمية الملكية الحربية في وولويش
وكم نعى هذا الأستاذ الذي تلبأ لصاحب التاريخ بمستقبل باهر
أن يعمر طويلاً ليرى فعال تلميذه ولكنه مات وكئشتر يدي من
الهمة الشماء شيئاً كثيراً في السودان وقد وجد بين أوراقه خطاب
يتضمن شكر اللورد كئشتر له على تهابيه القلبية بما أحرزه من
فوز ونصر

الفصل الثاني

تعليمه

يرجع تاريخ الاكاديمية الملكية الحربية أو كما يسميها العامة « بالخانوت » « The Shop » الى أواسط القرن الثامن عشر وكانت موجودة بمنزل عتيق في وولويش لم يؤسس إلا عام ١٧٤١ لغرض فحص الرافضين في الالتحاق ببلدفعية أو قسم المهندسين الحربيين

وفي عام ١٨٠٦ انتقلت الى مكانها الحالي وفيه التحق ككثير بها في يوم ٢٨ يناير عام ١٨٦٨ ولم يؤذن له بدخولها إلا في يوم ٣١ من الشهر المذكور

كان الأمر فوضي في هذه الاكاديمية أيام كان الملتحقون بها يحاربون في بلاسي « Plassey » وفي كويك وعند قل بانكر ولكن الحكومة عنت بها ورتبت حالها ودبرت أمرها أحسن تدبير وذلك قبل التحاق ككثير بمدة ١٢ سنة وبعضهم يقول بمدة عشر

سنتين ويقال ان الدافع لعناية الحكومة بها انما هو العجز والتقصير
الذي ظهر قاضحاً شائعاً في حرب القرم

اعتنت الحكومة بهذه الأكاديمية شديدة العناية حتى تخرج منها
وانجوتون ذلك القائد العظيم ونابيير « Napier » الذي لعب دوراً
مهماً في الهند وفي بلاد الحبشة وعند حصن مجدالا « Magdala »
الحصين وكذلك أمثال شاراس جورج غوردون الذي من أجله
ذهب كثنشر الى السودان

التحق غوردون بالأكاديمية قبل التحاق كثنشر بمدة عشرين
سنة . كان غوردون ضعيفاً جداً في العلوم الرياضية وعلى العكس منه
كان كثنشر الذي عرفه رفقاؤه لشدة ذكائه فيها « بمحلول المسائل »
في الامتحان النهائي وكانت تمارينه بالغة من الصعوبة مكاناً
عليه فار كثنشر ضمن جماعة يعدون على أصابع اليد الواحدة وقد
فازوا جميعاً في الفنون التي كتب عنها المايجور آرثر جريفت في
« بيرسونز مجازين Pearson's Magazine » في شهر ابريل
عام ١٩٠٠ والذي كتبه هو « في الهندسة الحربية وبممكنهم الخدمة
بمحتجى السهولة في المدفعية كما وانهم يستطيعون عمل المدافع الضخمة
أو الصغيرة . مدافع الحصون أو الميادين . ولهم الخبرة الكافية

بشيد الخصون وأقامة القلاع وفيهم من زاد فوق ذلك بالامسام
بالأعمال التلغرافية والفوتوغرافية والسكك الحديدية والبالونات »

لم يكتفِ هربرت كتشتر بالعلوم الحربية التي تلقاها في وولويش
بل واصل الدرس وظل ثلاث سنوات كاملة وهو في الدرشت
وشأنام حيث صرف أكثر أوقاته في أعمال تلغراف الميدان فكان
يقوم بكل الأعمال الفنية التي تقتضيها وظيفته في الجيش التي التحق
بها بعد قضاء ثلاث سنوات في وولويش وهي ملازم في فرقة
المهندسين الملكية وقد خصص أوقات فراغه التي يقضيها سواء في
الرياضة والزهرة للتبحر في الفنون الهندسية الحربية وفروعها وظهرت
تجار درس كتشتر للفنون الهندسية في أعماله العظيمة التي قام بها في
بناء السكك الحديدية في السودان وفي خطته التي اتبعها في جنوبي
أفريقيا في حربه مع البوير

لحقهم كتشتر فرصة منحت له لقرن علمه بالعمل والخبر على
الخدمة العاملة في الميدان وذلك أن الحرب نشبت بين فرنسا وألمانيا
ولا نريدك أيها القارئ تعريفاً بهذه الحرب فهي التي اشتهرت
بالحرب السبعينية وكفى

ذهب كتشتر إلى ديتان لزيارة أبيه فسمع قصص المدافع —

مدافع هذه الحرب الضروس — فعرض خدمته على الحكومة
الفرنسوية فقبل وألحق بجيش لوار الثاني الذي يتولى قيادته الجنرال
شانزى المعروف بالشجاعة والاقدام وكان نصيبه فرقة حرس مويل
في قسم الشواطئ الشمالية

وانه لمن حسن الحظ الخدمة تحت قيادة هذا القائد البطل ولكن
كثرت الانجليزى المتطوع في الجيش الفرنسوى علم يقيناً بعد خبرة
حرية انه يحارب مع الفريق الذى يكون نصيبه الفشل اذا لم
يتلاف عاجلاً الخطر الذى يقيق به

جاهر كثر برأيه الى القائد شانزى فثبت من صحته وهذا
أوحى الى الجيش بالانسحاب بانتظام الى المانز « Le Mans »
صدر كثر مع ضابطين فرنسويين في باتون حربى فأصيب
بدا الرئة واضطر الى اعتزال الخدمة والمودة الى انجلترا حيث
استأنف دروسه الحربية في وولويش

يقول بعض المؤرخين ان لا صحة لما سبق ولكن المستر جرومير
يذكر في كتابه ان اللورد كثر أكد له صحة ذلك

لم تشر الصحف الفرنسوية اليها بفخة وافية الا على ذكر اسم
كثر مقروناً باسمى أم درمان وفاشودة والذى كتب طويلاً عن

اللورد أيتامشدر هو المكاتب الحربى السابق المستر أرنست فبزل
وذلك فى خطابات عدة نشرتها جريدة الوستمنستر غازيت فى شهر
يوليو عام ١٩٠٢

ويذكر القراء ان الشعب الفرنسى قام فى سنة ١٩١٣ طالباً
من حكومته أن تمنح لورد كيتشنر ميدالية الحرب السبعينية اعترافاً
بخدماته الجليلة مع فرقة الطيران تحت قيادة الجنرال جورى وابتداءً
لدليل آخر على متانة الاتفاق الودى

ترك كيتشنر حائوت وولويش عام ١٨٧١ والتحق بالجيش كما
أبنا سابقاً وفى الجيش عمل اللورد فوق ما هو مكلف به
ناقت نفسه أن يجرى بعض التمرينات والعمليات فى الخارج
وكان له ما أراد عام ١٨٧٤ اذ التحق بتلك الجمعية التى أنشئت فى
انجلترا عام ١٨٦٥ بقصد البحث عن الآثار فى فلسطين والتقيب
عن الآثار العلمية فى تلك البلاد ومسح تلك الأراضى ورسمها بقصد
التوسع فى المعلومات عنها ومعرفة مواقع البلاد الوارد ذكرها فى
الكتاب المقدس بالدقة والضيطة وكان يقوم بتلك الأعمال ضابطان
من الفرقة التابع لها كيتشنر وهما الكابتن ستيوارت والملازم كلود
كوندر ويساعدهما المستر ثرويت دريك فخلا مركز بين رجال

تلك الحملة وذلك بموت الأخير في اورشليم عام ١٨٧٤ وعرض
على هربرت كتشتر قبله وانضم الى رجال تلك الحملة في اليوم
التاسع عشر من شهر نوفمبر عام ١٨٧٤

الفصل الثالث

أعماله العلمية في فلسطين

ان الذي بجهل تاريخ حياة اللورد كتشتر لا يصدق ما عليه من
الصفات قاهر محمود وانطيفة وهازمهما بين تلال ووديان الأرض
المقدسة وبطل كاندهار « Kandahar » في حرب البوير بأفريقيا
الجنوبية

ان الأعمال التي قام بها كتشتر في فلسطين من أجل الأعمال
ومن التي بها كان معروفاً مشهوراً وذلك لأسباب عدة منها ان
فلسطين نفسها بلاد من الأهمية بمكان مزدحمة بالسكان المحتاي
الملل والنحل وفلسطين هذه عبارة عن سرداب من الأرض يبلغ
طوله ١٥٠ ميلاً وهناك السائح يشعر بزهرير البرد شتاءً وانفج الحر
صيفاً. في شمالها جبال هرمون « Mount Hermon » وفي

جنوبها البحر الميت وعلى جانبيها الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء .
ذئاب في المغاور . وبلايل تشجي بصوتها فوق أغصان الأشجار .
وبالجملة أرض فلسطين غنية

تداولت على فلسطين دول وقد ترك الاسرائيليون والرومان
والبيزنطيون والصليبيون وغيرهم فيها أثراً يدل عليهم
هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وصل كنشتر الى فلسطين في شهر نوفمبر عام ١٨٧٤ ومن يوم
وصوله وشروعه في العمل أخذ اسمه يظهر بكثرة في التقارير التي
يكتبها رئيس الحملة باعتبارها الى أولى الأمر في لندن
اشترك كنشتر مع زميله الملازم كوندري في مسح منطقة زيون
« Zion » الصخرية وقد لاقيا مصاعب جمة ولكنهما لم يرجعا عن
عزمهما لأن هذه المنطقة أقرب سبيل يؤدي الى مدينتي هيرود
« Herod » ودافيد « David »

أصيب كنشتر بحمى قبل حلول شهر مارس وكانت الحملة لم
تنجز من العمل إلا مساحة أرض لا تزيد عن ٣٣٠ ميلاً مربعاً
ومعرفة مواقع ٢٠٠ بلدة

كتب الملازم كوندري عن بعض ما قاسته الحملة من المتاعب في

وادي سبال « Wady Seiyal » ما يأتي :

هبت العواصف واشتدت الأنواء فلم يكن من كلابنا والذليلين
الآن التجأوا الى الكهوف وسقط الشيخ حمزة المعجوز من على ظهر
مهرته مرتين ولولا ربطنا اياد بها لتعددت سقطاته أما حيواناتنا
الصبورة وهي الخيول السورية المشار اليها بالبنان فحتى الساعة الثامنة
مساءً كانت متحملة كل تأثيرات هذه العواصف ونحن وجدنا مأوى
ياؤينا في حبرون « Hebron » بنزل يهودي الماني وقد اكرم
مشواتنا ايما اكرام

كان هربرت كتنشر يقوم بجميع أعمال الحملة الفوتوغرافية خير
قيام ولقد قل أحد رجال الحملة « ان كل الذي استطيع قوله عن
كتنشر هو أنه كان رفيقاً خيراً قوى الارادة شريف المقاصد جليل
الأعمال » وجاء لهذا العضو أيضاً في حديث له عن الحملة « كان
كتنشر أقلنا عناية بالياب حتى انه بعد مضي أشهر قلائل خيل لنا
أنه أحد العوام لا أحد ضباط جلالة الماسكة ولو بيعت ملابسه يومئذ
في سوق وايت شابل لما كانت تساوي إلا ثلاث بنسات وربما لا »
ومما يذكر أثناء هذه الحملة انه خرج يوماً من أيام الصيف الحارة
مع صديقه وزميله الملازم كوندرا الى شاطئ البحر بالقرب من عسقلان

التي يذكرها التاريخ الانجليزي لما لها من العلاقة مع البطل ريشارد
قلب الأسد وهناك نزلا للاستحمام فبعد الملل لازم كوندرا عن الشاطئ
غير حاسب للتيار الشديد حساباً فتقاذفته الأمواج وأشرف على
الهلاك لولا مبادرة كتشتر اليه مخاطراً بحياته

وحدث لرجال الحملة حادث آخر في صفد أبدى فيه كتشتر
بساله نادرة وحذقاً عظيماً ولولاه لذهب الملل لازم كوندرا قتيلاً وكان
ذلك في شهر يوليو عام ١٨٧٥

وتفصيل الحادث ان جماعة من الاعراب بقيادة أميرهم هاجموا
خيام الحملة يوم السبت ١٠ يوليو عام ١٨٧٥ لما وصلت الى صفد
عند الساعة الرابعة بعد الظهر وحطت رحالها ونصبت خيامها في ظل
بعض أشجار الزيتون فوق أرض غير منزرعة

دخل الأمير خيمة الملل لازم كوندرا وأجرى فيها البحث والتنقيب
وفي أثناء ذلك تقلد كوندرا سيفه وتقدم ليعارض الأمير فيما يجري
فما شعر إلا وحوله جماعة من الاعراب وأخذ البعض منهم يرشقه
بالأحجار والبعض الآخر بالنبال ولولا مساعدة كتشتر كما أشار
الملل لازم الى الحادث في إحدى رسائله وثباته ورباطة جأشه لقتلت
بلا ريب فإنه هجم على واحد من الذين كانوا قد اطبقوا على
واشغله حتى تمكنت من الانسحاب

كان الأعراب يلقون الأحجار ويصوبون بنادقهم وهم يصيحون
قائلين « المسيحيون الكلاب » ولما تقدم اليهم كثثرو وأخذ يهددهم
ويطيب خاطرهم ويفصح أمره وزملاءه لهم زادوا عناداً وكان جزاؤه
أن أصيب بحجر في فخذه وبضربة على ذراعه . أما كوندر فأصيب
بشجين بليغين في رأسه وجرح سبعة آخرون من رجال الحملة

قال كوندر في رسالة أخرى « رأيت المسلمين قد أحاطونا احاطة
السوار بالمعصم وسلبونا من وراء الأشجار ومن بين كروم العنب
ولولا قدوم الجند الينا لكنا في عداد الأموات ولما زال عنا الخطر
قليلاً أصدرت الأمر بترك الخيام وبالرحيل حالاً » وفعلاً رحل الجميع
الآن كثثرو فكان آخرهم إذ بدأت المهاجمة تعود ثانية وكثثرو
بخطا بمحذر في ردها حتى يسلم زملاؤه ولقد مر طاق ناري بمحور
أذن كثثرو ولكن لم يمسسه بسوء

أبلغ الحادث لوزارة الخارجية ففاوضت قنصلها الجنرال في
بيروت ولما وصلت الحملة الى حيفا يوم ١٢ يوليو أبلغت القنصل
أيضاً الخبر وبعد ثلاثة أيام وصلت الحملة الى الدير الموجود في جبل
كارمل حيث مكث كوندر وكثثرو عدة أيام للسؤال والجواب
بخصوص الحادث

أصيب الكثيرون من أعضاء الحملة بالحمى وكانت إصابة كتشتر
أشد من إصابات الآخرين . وبما يروى عنه أثناء مرضه انه بينما كان
ملقى على فراشه وقد خارت قواه رأى على المائدة زجاجة من الجمرة
فرجا أحد الضباط الخوانه بأن يسقيه جرعة منها ليبرد لظى ناره
ولما كان الملازم كوندري هو الضابط الأقدم المسئول اعترض على
ذلك . على ان الضابط الآخر كان هو نفسه قد ذاق مرارة المرض
فرنى لحال رفيقه فلم يستطع أن يرفض طلبه بل أعطاه كأساً من
الجمرة فتناولها كتشتر وشرب ما فيها رغم نصائح الباقين بأن لا يفعل
واشتد المرض عليه بعد ذلك فعلق عليه أصدقاؤه . الا ان كتشتر
نام نوماً عميقاً بعد ذلك ولما استيقظ من رقاذه كانت الحمى قد فارقت
وأخذ يدرج الى الشفاء

بدأت محاكمة المعتدين على الحملة في يوم ١١ سبتمبر وذلك
في عكا وحضر الملازم كوندري وكتشتر معظم جلسات المحكمة
وانتهت المحاكمة يوم ٢٨ سبتمبر وقضى على ثمانية بالحبس مدة
شهرين وعلى ستة بثلاثة أشهر وعلى اثنين بسنة واحدة وبغرامة
قدرها ١١٢ جنيهاً على أهالي بلدة صفد

رأى رجال الحملة الأحكام خفيفة نظراً الى الاعتداء فاحتجوا

فزيدت العقوبة وزيدت الغرامة التي دفعت للجمعية تعويضاً عن
الأشياء التي كان المعتدون قد عطلوها

وكان رجال الحملة قد عادوا جميعاً الى إنجلترا ولم يبق سوى
الملازم كوندل وكثشتر لحضور المحاكمة ولما انتهت لحقا برفاقهما
فوصلا الى إنجلترا في نهاية عام ١٨٧٥

الفصل الرابع

في إنجلترا وفلسطين ثانية

عاد كثشتر وزميله الملازم كلود كوندل بنتيجة حسنة مقبولة وقد
ورد في التقرير (الجزء الثاني) للجمعية « ان الأشياء التي بحث بها
الملازمان كوندل وكثشتر ذات قيمة فوق ما كان متظراً . لقد
اتمام مساحة ١٦٠٠ ميل مربع في ولايتي اليهودية « Judah » وفلسطين
« Philistia » ونحو ١٨٠ ميلاً مربعاً في جنوب غاليلى
« Galilee » وبهذا لم يتبق الا مساحة ١٤٠٠ ميل مربع ويكون
العمل تاماً في فلسطين الغربية من دان الى بحر سبع ، وقد أجرى
مسحها بمعرفة كثشتر نفسه

قضى كتشنر عام ١٨٧٦ يعمل في دار الجمعية في لندن وكان
مركز الجمعية في غرفة بصاللة ألبرت وما عمل سنشدر الأتقيم الرسوم
التي أخذها والخرائط التي رسمها رجال الحملة . وقبل أن ينتهي من
هذا العمل صدر اليه الأمر بالاستعداد للعودة ثانية الى فلسطين
وحدد له أول السنة الجديدة أي عام ١٨٧٧ وفعلاً ألتف حملة أخرى
لانتهاء العمل نبطت به رئاستها وفي يناير من العام المذكور ولّت الحملة
الجديدة وجهها نحو دمشق وهناك ابتاعت بعض اللزوميات
وخصوصاً الخيل

تأخرت الحملة في بور سعيد مدة سبعة أيام لسبب عدم وصول
الباحرة الروسية التي أقلتهم فوصلوا الى بيروت يوم ٦ فبراير وبعد
٢٢ يوماً بديء العمل

سمع كتشنر أخباراً مقلقة عن الدروز منها أنهم يزعمون أرواح
المسافرين الى دمشق ووردت اليه من الجنوب أخبار أخرى تفيد
بأن قبيلتين من الأعراب هاجتا . لم يحفل بكل هذه الأنباء بل
سار بحملته الى طبريا اذ وصلها في شهر مارس وفي يوم ١٠ ابريل
وصلت ثانية الى صفد وهناك استقبلوا استقبالاً حسناً فخرج الحاكم
والقاضي والموظفون لمقابلتهم خارج المدينة وذهبوا بهم الى سراية

الحكومة حيث عوملوا معاملة الضيوف واكرموا كل الاكرام وضرب
رجال الحملة خيامهم خارج المدينة . وفي اليوم التالي زارهم الحاكم
والقنصل الانجليزى وعدوهم الألد القديم المدعو على أنغا إعلان وقد
أبدى هذا الرجل أسفه واعتذاره عما جرى منه فى عام ١٨٧٥

مكثت الحملة ليلة واحدة فى الناصرة « Nazareth » ثم
انتقلت الى حطين « Hattin » وفيها كانت تعبئة الحملة كما جاء
فى إحدى المذكرات مكونة من خمس خيام مصرية وسبعة خيول
صغيرة عربية وسبعة بغال وأربعة من الأوروبيين وعشرة من
الوطنيين واثنين من الباشبوزق انتدبا من قبل الحكومة لمرافقة الحملة
علم كتشنر فى يوم ٢٨ ابريل ان الحرب نشبت بين تركيا
والروسيا وقد واصل العمل منتقلاً من بلدة الى أخرى حتى وصل
الى بئر سبع ثم اضطر الى العودة لنفاد المؤونة وكان الحر شديداً فى
الناصره عند ما بلغها فأصيب بضربة شمس خفيفة

وقد حاول رجال الحملة بناء سور حول بئر يعقوب فى نابلس
حفظاً لهذا الأثر فساء ذلك الأهالى الذين ألغوا الأحجار على
كتشنر ورجاله أثناء طوافهم فى شوارع نابلس وراجع كتشنر
ورجاله أعمال المساحة التى أجريت سنة ١٨٧٢ وحققوها قبل

عودتهم الى انجلترا في ديسمبر عام ١٨٧٧

كتب من حيفا في شهر يوليو « نحن الآن على بعد من لبنان
بمسافة قصيرة نشد الراحة التي نحن في شدة الحاجة اليها مدة ثلاثة
أسابيع . . . أنبأتكم في التقرير الذي بعثت به اليكم من بيروت
ان جماعة من البدو هاجموني وأصابوني بجراح بالقرب من بانياس
« Banias » ولقد أرسل « الدردج » السفير الانجليزي الجنود
الذين حققوا — الجزاء من جنس العمل — »

وورد في تقرير آخر « بلغت درجة الحرارة لما كنا في الناصرة
١١٤ في الظل ولم أستطع دخول الخيمة لأنني لا أقوى على السير
ولا يقوى أحد على حمله حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل
وكانت الخيمة في صيدا « Sidon » وأوشكت كلابي أن تموت
ولشدة اعيائها سمحت طول الطريق »

لأقت الحملة الثانية من المتاعب والصعوبات ، وهو أشد من
الأولى وقد حدث ان شيخ احدى القرى رمى كتشتر بالأحجار وهو
يخط القرية على قطعة من الورق فما كان من كتشتر الا انه توقف
عن العمل وأبلغ الحاكم الحادثة فأتى القبض على الشيخ حالاً ثم عاد
كتشتر الى العمل وما فرغ منه استأذن في اطلاق سراحه فأطلق

في يوم ٢ أكتوبر كتب الى الجمعية يقول : انى متأكد ان
الجمعية ستسر اذا علمت ان انظارطة تمت . جرححت في بئر سبع
يوم ٢٨ سبتمبر « وقد مرت بعيدان القتال العثماني الروسي وشهد الواقع
ولما عاد الى انجلترا صكتب جملة مقالات في مجلة الغاية السوداء
« بلا كود » وصف فيها اختياراته وما شاهده ووصف الشعوب
التحاربة من روس وترك وبلغار

الفصل الخامس

في قبرص وآسيا الصغرى

عاد كثنفر الى انجلترا مرة أخرى في يناير عام ١٨٧٨ وبعد
اجارة قصيرة انضم الى زميله الملازم كوندرفي دار آثار كنسنتون
الجنوبية حيث أخذ في ترتيب الأشياء المستحبة من فلسطين وفي
اتمام الخرائط وفي كتابة التقارير الوافية وحتى ١٠ سبتمبر لم تكن
قد تمت انظارطة المطلوبة عن فلسطين الغربية بمقياس رسم بوصة
للميل الواحد وعليها كل بلدة وقرية وتل وعزبة وكفر . وفي أثناء
هذا العمل كانت جزيرة قبرص قد انتقلت الى انجلترا بفضل

المعاهدة التي أبرمت بين تركيا وبريطانيا عام ١٨٧٨ وأمضيت في
القسطنطينية

عهد الى الملازم كتشتر بزيارة قبرص ورسمها ورسم خرائط لها
فبرح انجلترا في يوم ١٩ سبتمبر عام ١٨٧٨ وقام بهذا العمل خير
قيام ورأى قبرص في شدة الحاجة الى اصلاحات عديدة طوراً من
الوجهة الصحية وأخرى من الوجهة الفنية فكتب التقارير المطولة
عن موانئها وحياضها وطرقها والمسكك الحديدية الضرورية لها وكذا
طرق الري والصرف ثم نيط به تسجيل الأرض وحصرها

وبين عامي ١٨٧٩ و ١٨٨١ انتدب لأعمال خاصة فترك أعماله
في الجزيرة على أن العمل استوائف ثانية وتم تماماً وأصدرت الحكومة
الانجليزية عام ١٨٨٥ خرائطها الجديدة عن جزيرة قبرص وهي
من ثمار أعمال كتشتر

ان سبب إيقاف العمل في قبرص بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨١
هو أن السير شارلس ولين من الضباط المهندسين لما عين قنصلاً
جنرالاً لانجلترا في بلاد الأناضول اختار زميله الصغير الملازم كتشتر
أن يكون وكيلاً له في مدينة ارضروم وهناك رأى كتشتر أهوال
الحرب التي كانت ناشبة بين الروس والترك

مد كتشنر يد المساعدة وهو في ارضروم للمسلمين الذين هاجروا
من بلادهم مخافة ويلات الحرب المستطيرة ولم يقدم لهم من الطعام
وما كانوا يحملون راداً لهم هيا لهم مواطن الراحة والامن وكانوا هائجي
البال مضطربى البالبال . لا يملكون على شيء من الثياب الا ما
تسرت به اجسادهم وهي اطمار بالية

عد كتشنر الى قبرص عام ١٨٨١ ومعه ترخيص رسمي بجيز
له زيارة الامكنة المقدسة في الامبراطورية العثمانية وقد تنقل به في
جهات مختلفة لما سهل للعرب فتح الطريق الى بطرة « Petra »
وذلك عام ١٨٨٣

لا يفوتنا هنا ان نذكر الكاتبين وارن (الآن الجنرال شاراس وارن)
الذي عمل كثيراً مع كتشنر في قبرص واذا شاء القاري الامام
شيء عنه فيكفيه ان يعرف انه هو الذي تولى قيادة فرقة خيالة
يطاق عليها اسم « خيول ميادين الداس » ببلاد الكاب حيث
قيل كتشنر مرة ثانية بعد مضي عشرين سنة

تبلغ مساحة قبرص مليونين ونصف مليون فدان تقريباً ولا
يزيد طولها على ١٤٠ ميلاً ومتوسط عرضها ٣٠ ميلاً
لما وصلها كتشنر كانت معظم هذه المساحة مستنقعات تنشا

منها الأمراض المعدية أما قراها فخيالية تعلوها الأوساخ والافتقار
وقد تعاقبت أمم على قبرص منها أمة الفينيقيين ثم جماعة المصريين
فأمة اليونان وبعد مدة طويلة تولاها الرومان ومن بعدهم حكمها
البيزنطيون وغيرهم

رفع عليها العلم الانجليزي أيام ريتشارد قلب الأسد واليوم يرفع
عليها ناية العلم الانجليزي . وهكذا الحال أمم تذهب وأخرى تفيج .

الفصل السادس

قدومه الأولى الى مصر

قد لاكتسب أن تكون حياته كلها مرتبطة بأموال الشرق فإنه
ما كاد يصل الى الاسكندرية عام ١٨٨٢ باجائة قصيرة من قبرص
حتى بدأت الثورة العرابية التي تولى زعامتها كما هو مبين من نسبتها
أحمد عرابي قائد الفرقة الرابعة ثم كان الوزير الأول ورئيس الجيش
جاء الأسطول البريطاني الى مياه الاسكندرية وكثير الحياج في
المدينة وكان كتشتر أشد الناس تحمساً للاشترالك في العمل اذا ما
قررت الحكومة أن يكون لها يد في اتحاد الثورة فطلب اطالة اجارته

على أمل أن يجد فرصة للاشتراك بالعمل غير أن الأيام مرت ولم
تبدأ انجلترا في العمل وانتهت اجازته وكاد يعصى الأوامر ويبقى
بعد انتهاء اجازته فأبرق برقية أخرى يطالب اطالة الاجازة . ويقول
المستمر ولست تشرشل ان أحد أصدقائه من مراسلي الصحف
اقترح عليه أن يقول في البرقية انه اذا لم يرد عليه رد سريع
يستنجد من ذلك ان طلبه قد أجيب على أن الرد جاء معجلاً إلا
أنه وقع في يد صديقه المراسل فلم يوصله له إلا بعد سفر بريد قبرص
وهكذا وجد كاتشر أمامه اسبوعاً كاملاً . وقد تحدث أمور كثيرة
في اسبوع

في أوائل شهر يوليو أخذ عرابي باشا يبحث بالجند الى الاسكندرية
ويقتوى حصونها ورغماً عن الاحتجاجات ضد كل هذه الاحتياطات
لم يرفع عن أمره وصار يدل الى المحتجين بأسباب أهمها اجراء ترميمات
ولكن هذه لم تحل لدى الانجليز محلاً مقبولاً فتقدم الأسطول
الانجليزي وعلى ظهر احد مراكبه كان كاتشر ثم ضرب مدينة
الاسكندرية ونزات فرقة من الجنود الانجليزية الى البر وقررت
الحكومة البريطانية ارسال جيش الى مصر وكانت الحاجة ماسة الى
ضابط مثل كاتشر يعرف اللغة العربية جيداً وفعلاً جاء الجيش

وقائده العام السير جازنت ولسلي الذي قدم الى مصر يوم ١٥
أغسطس وبدأ العمل في سبيل تأييد الأريكة الخديوية واعادة
الأمن الى مجاريه

قال المستر ونستون تشرشل في كتابه « حرب النهر » عن
أعمال كتشتر في مصر للمرة الأولى « انه تولى قيادة فرقة خيالة
مصرية وخدم في المواقع » وقال الماجور ونجت في كتابه
(المهديّة والسودان المصري) « انه بأعماله في الجيش المصري رقى
الى المراتب العليا فوق المرتبة التي كان بها في خدمة الجيش الانجليزي »
ارتد عراقي بجيشه الى القاهرة بعد أن دارت بينه وبين الانجليز
مواقع دحر فيها وخصوصاً عند كفر الدوار اذ هناك في يوم
٢٠ أغسطس عام ١٨٨٢ حصلت بين العراقيين والانجليز واقعة
استمرت ساعتين وكان عدد العراقيين ضعف عدد الانجليز
واشتدت الحرب بينهما وظهرت علامة الفشل على وجوه العراقيين
وكان الانجليز قد تقدموا صفوفاً منتظمة نحو مراكز العصاة فأصلاهم
العراقيون في بادئ الأمر بنار حامية ولبثوا مستقرين في مراكزهم
ثم اندشر الانجليز في مراكز متفرقة وأخذوا يهجمون على العراقيين
هجوماً متقطعاً ثم ضيقوا عليهم مذهب الفرار فأوقعوا بكثيرين

منهم وقد انقلب العراقيون الى تل الوادي ابتغاء تعزيز معسكره
والتحصن فيه

وفي يوم ٢٢ اغسطس اقتتل الفريقان في كفر الدوار قتالاً
عنيفاً انهى عن هزم العراقيين شر هزيمة

وفي يوم ٢٣ اغسطس اشتبك الانجليز مع العراقيين بين تل
المشحوظة والاسماعيلية وانجأت الموقعة عن اخراج العراقيين من
مراكزمهم. وفي يوم ٢٨ اغسطس فشل العراقيون فشلاً يالحق العار
والشمار في القصاصين

وفي ١٢ سبتمبر ورد على الخديوى من سلطان باشا ما يفيد أن
الانجليز قد استعدوا للهجوم على العراقيين في التل الكبير ثم ورد
تلغراف آخر ينفي بأن الانجليز هجموا على التل وان العراقيين لم
يقفوا امامهم الا عشرين دقيقة وفي تلك الموقعة طارت خيمة عراقى
في الهواء اثر قنبلة انجليزية اقيت عليها اما عراقى فلما اخذق به
الخطر أسرع الى النجاة بأن ركب جواداً كريماً حتى محطة أبي حماد
ثم أعياه التعب فأسرع بالنزول الى القطار وأمر السائق بالمسير فتأخر
عن اجابته فلما أحس بالمكيدة وعلم ان السائق مغرى استل سيفه
وشهره عليه وهدده بالقتل فامتل السائق لأمره وسار بالقطار

ووصل الى القاهرة يوم ١٣ سبتمبر

وفي مساء يوم الجمعة ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ كانت الجنود
الانجليزية قد وصلت زمراً وأفواجاً وعسكرت في سفح الجبل ومن
بومثني تقرر أن يكون من الجنود الانجليز في مصر ١٢ ألفاً أما
الجيش المصري فقد قرر اللورد دوفر أن يكون عدده ٦٠٠٠ رجل
مولفاً من ثمانى أوط فيها ٢٥ ضابطاً انجليزياً

التحق كذشر بفرقة الفرسان مع ضابط آخر بعد ان طالب ذلك
من السير افلين وود الذي نظم الجيش والذي انتدب الليفتنانت
كولونيل تيلور لتولى قيادة هذا الجيش ولما أراد السير افلين وود
أن ينتخب ضابطين لمساعدته في أعماله كان كذشر أحد الضابطين
لأنه يعرف اللغة العربية

رقى كذشر حتى صار نائب القائد تيلور وقد كتب المستر جون
مكدونالد مكاتب الديبلي نيوز الحربى مقالاً في مجلة القرن التاسع
عشر ج١ فيها « دعاني تيلور أن أرافقه وزميله لمشاهدة ما قاما به
من الأعمال وكان الاثنان مرتدين بذلتين سوداوين وطر بوشين
مصريين فرأيت الجنود المصرية على أنهم ما يرام والجندي المصري
نشط وفي صباح يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٣ قمنا نحن الثلاثة للافاقة فرقة

الخيالة وقد بدأنا باستعراض الضباط وعلى مقربة منهم قال لي تبلور
سنعلمهم أولاً ثم نسلمهم أمر الجند ثانياً . وقد أعددتنا لهم ٤٤٠ حصاناً
قام عندئذ المهدي في السودان وسافر هكس باشا من القاهرة
يوم ٧ فبراير عام ١٨٨٣ قاصداً بلاد السودان فوصل الخرطوم يوم
٤ مارس والخرطوم كما قال الكاتب ألبرت جونسون في مجلة
(بني بكتوريال) البلد الصعي الوحيد على سطح الكرة الأرضية
نجح هكس باشا في أول الأمر وفي يونيو أبرق الى السير افلين
وود برقية جاء فيها : اني في حاجة الى خمسة آلاف جندي آخرين
وهذا العدد لا يمكن الحصول عليه من هنا الا باخراج الرجال قهراً
من دورهم وغالباً يكونون من غير اللاتنيين ثم يقادون الى ميدان
القتال مغلولين فهل لكم عوضاً عن ذلك أن ترسلوا لنا خمسة فرق
من جيشكم الجديد وبهذا اكون ممنوناً
في يوم ٩ سبتمبر فارقت قوة هكس باشا المؤلفة من عشرة آلاف
رجل خيامها في أم درمان لغرض استرداد ما استولى عليه المهدي
ودراويشه كأيتض وبلدة أخرى بالقرب من كوردفان وفي سبيل
ما أراد مات قتيلاً وزحف المهدي بجيوشه على الخرطوم وكان ما
كان من سقوط السودان

وبينما كانت هذه الأمور جارية في السودان كان كتشتر ملاحقاً
بمهمة جديدة جردتها جمعية البحث والتنقيب في فلسطين للعمل في
شبه جزيرة سيناء وكانت هذه الحملة تحت رئاسة الأستاذ إدوارد هيل
أما مهمة كتشتر فهي الأعمال الفوتوغرافية وقد أدى كتشتر
كالعتاد خدمات جليلة في هذه الرحلة دعت الأستاذ هيل أن يقرر
في مؤلفه « أنى مدين لتجاريه وعلمه ومنتحى اجادته لأخلاق
وعادات قبائل العرب وحسن تكلمه بلغتهم اذ كثيراً ما كان مترجماً
بيننا وبين شيوخهم »

التحق كتشتر بهذه الحملة وهو في القاهرة وسافر معها من
السويس يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٣ . واثت الحملة عملها بنجاح تام
دون أدنى عائق يكون حجرة عثرة في سبيلها وفي أواخر شهر ديسمبر
أوقفت الحملة لاجراءات صحية مدة عشرة أيام في أثناءها تلقى الرئيس
خطاباً من السير افلين بارنج (اللورد كرومر) بالقاهرة يتضمن الأمل
العظيم بالنجاح ثم نعى الجنرال هكس ولما بلغ خبر قتل هكس سامع
كتشتر رأى العودة حالاً الى مصر فأسرع بالسفر براً من قل
أبو حريرة القريبة من بئر سبع واجتاز صحراء سيناء

جاء في كتاب الأستاذ هيل « قوبل سفر كتشتر بحزن شديد

جداً فقد أظهر لنا في مدة شهرين تقريباً من الدعة واللطف والرفقة
شيئاً كثيراً فضلاً عن انه أفاد الحملة بفضل معلوماته الغزيرة عن
البدو »

سافر كشنر من تل أبو حريرة قاصداً مصر في آخر يوم من
شهر ديسمبر وكان قد امتطى جواده ورافقه أربعة من الأعراب
على ظهور جمالهم وكانت المسافة التي قطعها حتى الاستماعية ١٥٠
ميلاً ومما يذكر عن الأربعة الأعراب المرافقين لكشنر ان ثلاثة
منهم كانوا في غاية الفطاعة والبلادة وأما الرابع فعلى العكس وعنه
قال صاحب التاريخ « هو العربي الفتط الأمين في خدمته الذي
لقبته بين قبائل الأعراب »

الفصل السابع

في السودان

اجتمعت الوزارة الانجليزية وقررت ارسال الجنرال شاراس غوردون الى السودان وقد تلقى أمرها يوم ١٨ يناير وفي مساء ذلك اليوم تاهب للسفر فوصل انخرطوم في شهر فبراير وقوبل بهتاف شديد من الحامية المصرية وكذا الأهالي وقد لاقى متاعب لا توصف حتى انه أرسل أخيراً تلغرافاً في شهر ابريل يتضمن الاستقالة ولكنه استردها بعد رجاء وبعد استردادها وقعت مواقع انتهت بهزيمة باكر باشا أمام عثمان دقنة وقوته المؤلفة من ألف اعرابي وبوقوع حامية سنكات وطوكر في الأسر ثم أعقبها هزيمة الجنرال جراهام وفي شهر يوليو سنة ١٨٨٤ تقرر ارسال النجدة لغوردون وفيها عين كاتشر نائب مساعد ادجونات جنرال لادارة المخابرات الحربية تحت امرة السير شاراس ولسن

وصلت الفرقة من الجنود البريطانية الى حلفا في ٢٣ اغسطس ولما بدأت الحملة زحفها في أواخر شهر سبتمبر كانت عدد الجنود

الانجليز في مصر قد بلغ ١٣٥٥٩ رجلاً وفي يوم ١٥ أكتوبر وصل
لورد والسلي الى وادي حلفا وبدأت بعد ذلك بشهر حملة دنقلة
ولما كان كثنر ضابطاً للمخابرات أفادته معرفة لغة البلاد كثيراً
فاختك بجميع قبائل العرب بين البحر الأحمر والنيل واكتسب
صداقة البشاريين والعبادة وغيرهم

كتب المستر نيوت برلي المكاتب الحربى لجريدة الديلى
تلفراف « شاهدت في الدبة الواقعة جنوبى دنقلة بمسافة ٩٠ ميلاً
بين العرب رجلاً أحمر الوجه زرقاء العينين خيل لى انه انجليزى
ولكن زاد دهشى لما علمت انه عربى ويتكلم العربية وقد اقتربت
منه لآتحقق أمره فاذا به الكاهن كثنر فرحب بى وزاد فى اكرامى
بأن قدم لى زجاجتين من الخمر الفرنساوى الذى تعودنا شرايه على
المائدة . مضى على كثنر أربعة أسابيع دون أن يسمع كلمة انجليزية
واحدة وكان مسروراً جداً لما أخذت أبلغه بعض ما حدث خارج
السودان » ثم قل على سبيل ذلك واصفاً اياه « انه هادى . يصفى
أكثر من ان يشكلم وهو يصرح برأيه تماماً اذا ما وجد داعياً الى
التصريح »

كان كثنر فى دنقلة لما قررت وزارة غلادستون ارسال حملة

الى الخرطوم لاتقاذ غوردون . قال غوردون « لا . ليس لاتقاذى
وانما لاتقاذ الشرف الوطنى »

هناك طريقان لوصول الحملة . الأول من البحر الأحمر الى
سواكن والثانى اتباع مجرى نهر النيل ولقد اختار اللورد والسلى الذى
قدم من انجلترا لقيادة الحملة الطريق الثانى وان كان طويلاً . وصل
اللورد والسلى الى وادى حلفا فى الأسبوع الأول من شهر اكتوبر
ووادى حلفا كانت القاعدة الحربية للحملة

يشهد التاريخ وهو الشاهد العدل الذى لا ينكر حنات المحنين
ولا ينسى سيئات المسيئين ان غوردون جاهد جهاد الأبطال وقد
ركب الكولونيل ستيوارت الذى كان برفقة غوردون زورقاً بخاريّاً
ومعه بلاغات فيها ايضاحات كانت تثر ثمرات طيبة الانجائيز فى السودان
لو انها وصلت الى أولى الأمر ولكن القارب اصطدم بصخور فتحطم
وغرق ستيوارت وعدد آخر من الانجائيز ركبه معه

تلقى غوردون خطاباً من كتشنر معنوناً باسم ستيوارت ومؤرخاً
بتاريخ ٢١ سبتمبر وفيه يقول « هل أستطيع عمل شئ لك أو للجنرال
غوردون . انى اكون مسروراً جداً لو تحيطنى علماً بذلك » وبعد
أيام أخرى بعث كتشنر بخطاب الى غوردون وصف فيه كل شئ

عن الحملة الجديدة أما طريقة تبادل الخطابات فقد كتب عنها
الماجور جنرال غوردون في مذكراته يوم ٥ نوفمبر « أرسل إلى
صديقي كتشنر خطابات لها في جرائد قدبة . لم يخبرني بشيء في
الخطابات . أقيمت الجرائد في الحديقة وهناك تناولها كاتب يلم بالقليل
من الانجليزية وتناولها الصيدلي المستشفى الذي يعرف الانجليزية وقد
راه الطبيب يقرأ فيها أخباراً بتاريخ ١٥ سبتمبر فحملها إلى عاجلاً
وكانت عندي هذه الصحف كالكنوز الذهبية كيف لا وقد وقفنا
على شيء لم نلم بالقليل منه ولا الكثير منذ يوم ٢٤ فبراير »

في شهر نوفمبر تلقى غوردون من كتشنر ما يفيد بأن الباخرة
التي أقلت ستيوارت ومن معه وقعت في قبضة العدو فاستولى على
غوردون الحزن الشديد

وفي يوم ٢٦ من الشهر المذكور نشر غوردون في مذكراته
« وردني خطاب يفيد بأن الحكومة أوجت إلى كتشنر بأن يفدني
عند المهدي بمبلغ ٢٠ ألف جنيه » وبعد ذلك نعت غوردون صديقه
كتشنر بالشهامة والشجاعة وقال « اكنفي نعتاً له بما ذكره بيكر
عنه ويعجبني ذلك وهو كتشنر « هو الذي وضعت آمالي فيه وأنه
من خيرة الضباط الانجليز . له فكر نقيب ورأي صائب وهمة عالية »

رقى كتشير الى رتبة ماجور في شهر اكتوبر عام ١٨٨٤ ورافق
الفرقة التي كان يقودها السير هربرت ستيوارت والتي قامت من
كورن في ديسمبر

لم توفق حملة هربرت ستيوارت الى بلوخ غرضها لأنها التقت
بقوة من الدراويش يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل ولم يكن عدد
رجال حملة ستيوارت يزيد عن ١١٠٠ رجل فقتل في تلك المعركة
وهي معركة أبو طايح ١٠ في المائة من القوة الانجليزية ومن القتلى
الكولونيل فردميرناى وجرح السير هربرت ستيوارت فتولى القيادة
بدلاً منه السير شارلس ولسن وبعد قتال عنيف طرد العدو
واستأنفت الحملة تقدمها وبعد ان قاتلت في معركة أخرى وهي معركة
التيمة كانت قد سقطت الخراطوم وقتل غوردون وفي يوم ٥ فبراير
وصات الأبناء لندن فحتم عليها الحزن وكان شديداً

اعتزل كتشير منصبه في الجيش المصري بعد فشل نجدة
غوردون وعاد الى انجلترا وقد ذكر اسمه في البلاغات والتقارير
مقروناً بالاعجاب وقال مدالية بالرباط والنجمة الخديوية وفي شهر
يونيو من هذه السنة أي عام ١٨٨٥ رقى الى رتبة ليفتنانت كولونيل
واتدب عضواً في لجنة اقامة حدود زنجبار وعاد منها الى مصر ثانية

وعين في سنة ١٨٨٦ مديراً لاقليم البحر الأحمر خلفاً للجنرال وطن
فتمكن العرب بمشورته من التغلب على عثمان دقنة في طماي ثم خلف
الكولونيل شرميد في وظيفة حاكم اسواحل البحر الأحمر
وقومندان سواكن

وفي اليوم السابع عشر من شهر يناير سنة ١٨٨٧ قاتل كذشتر
عثمان دقنة بن أحد التجار العثمانيين في هندوب ودحره فانصرف
رجاله بعد التغلب على العدو الى النهب والاهتمام بالغنائم فغم عثمان
تلك الفرصة فهاجمه ثانية فدارت الدائرة عليه وحرق كذشتر وعاد
الى سواكن جريحاً على ان جرحه لم يكن بايعاً فأراد ان يستمر في
مناوأة عدوه غير ان السير افان بارنج (اللورد كرومر) لم يكن على
رأيه ورأى ان خير خطة هي السكون واتخاذ خطة الدفاع لا خطة
ال هجوم

ولما كانت خطة كذشتر لا تتفق مع هذه الخطة نقل عام ١٨٨٨
الى وظيفة عسكرية محضة وهي وظيفة ادجوتانت جنرال الجيش
المصري وعهد اليه فوق ذلك بوظيفة مفتش عام ببوليس القاهرة
وفي مايو سنة ١٨٨٨ أصيب كذشتر بمرض فساغر الى انجلترا
ولما وصاها عين ياوراً للملكة فكتوريا وفي ١١ يونيو أنعم عليه بترية

الكولونيل وأنعم عليه كذلك باليشان المجيدى الثانى

وفى أواخر السنة نفسها عاد كتشنر الى مصر وعين لواء فى
الجيش المصرى فى السودان وكان القتال لا يزال ناشباً فى شرق
السودان وكان الخليفة قد أصبح صاحب الحول والطول فى السودان
وذلك عام ١٨٩٠ وعثمان دققة أكثر رجال الدراويش ازعاجاً
للحكومة فقرر السير فرانسيس جرانفل سردار الجيش المصرى يومئذ
سحقه بدون إبطاء فعهد بذلك الى الكولونيل كتشنر وكان كتشنر
عندئذ قائداً للواء السودانى الأول فهاجم برجاله عثمان دققة فى
الجهة وفى أغسطس كان الكولونيل كتشنر يقود الجنود الراكبة
فى موقعة طوشكى فقتل واد النجومى فى هذه المعركة وذكر كتشنر
فى رسائل القائد العام وأنعم عليه بيشان الحمام

وفى عام ١٨٩٢ ترك السير فرنسيس منصب سردار الجيش
المصرى وكان يظن ان الكولونيل وودهوس بخافه فى ذلك المنصب
ولكن كتشنر عين فيه فدهش الجميع لتعيينه الذى يعود الى الحاج
اللورد كرومر وقال المشرشرشل فى ذلك « ان اللورد كرومر قد
وجد الضابط الحربى الذى يعتقد فيه الكفاءة لفتح السودان اذا ما
سئلت الفرصة لذلك » ولم يمض وقت طويل حتى أثبت كتشنر

جدارته بالمنصب وبرهن على أنه ليس ضابطاً حربياً محضاً فقط بل هو فوق ذلك أدارى حازم وقد أنعم عليه بوسام القديسين ميخائيل وجورج من الدرجة الثانية فلقب بالسير هربرت كتشتر

تلا ذلك تجريد الحملة المصرية الانجليزية لاسترداد السودان وورد اليه تلغراف عند منتصف ليلة ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ يؤمر فيه باحتلال عكاشه وكان كتشتر قد مد سكة حديد الصحراء وهي تعد من أعظم أعماله وفي ٦ يونيو أصدر أوامره بمهاجمة الدراويش عند طلوع الفجر في فيركت « Firket » وكانت قوته مؤلفة من ٩٠٠٠ رجل ولكن يصحبها من الضباط هنتر ولويس ومكدونالد ومكسويل وفرن مردوخ وسلاطين والمناجور ونجت

فازت الحملة فوزاً عظيماً وخرب كتشتر محمود في العطبرة ثم الخليفة في أم درمان وقد رقى هو وهنتر الى رتبة مناجور جنرال واز كتشتر المجتهد زيارة قصيرة تمكن فيها من اطلاع أولى الأمر على أشياء كثيرة في السودان وكان مما قام به لأحد محدثيه « أنه من الخطأ البين الظن بأن قوة الخليفة قد انحطت » ولهذا عاد في ديسمبر الى مصر ومعه أمر بالاستمرار في تجريد الحملة أخذ يفكر في الطريق السهل لتحقيق رغائبه السودانية وأخيراً

قرّ قراره على تشييد خط دفاع من وادي حلفا الى أبو حمد مخترقاً
في الجنوب الشرقى صحراء نوبيا وبهذا يمكن دفع الجنود بسهولة
الى بربر

رأى كتشتر ضرورة الخطوط الحديدية لسرعة الانجياز في
العمل ولما رتب كل شيء بدأ العمل في مدها في اليوم الأول من
السنة الجديدة - ١٨٩٧ - والذي تولى هذا العمل هو الليفتنانت
جير وارد الكندي فقد أقام في عشة بوادي حلفا وشرع يفكر ويعمل
تمت الخطوط الحديدية فصار القطار الأول من وادي حلفا محملاً
ذخيرة وأغذية آخر بالغذاء والماء وحتى يوم ٢٠ يوليو كان قد تم مد
١٣٠ ميلاً حديدياً وكانت المواصلات بين القاهرة وأبو حمد على
أنتم ما يرام في أول نوفمبر

في يوم ٤ ابريل سنة ١٨٩٧ كان جيش كتشتر في الابهاز
أي على مقربة من العدو بخمسة أميال وفي ٧ منه كان الجيش
متقدماً الى أم داوية على المطيرة وهناك أخذ يقاتل محمود اذ عند
منتصف الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم صبت مدافعه ناراها
الحامية على عدوه القريب اليه من جبل الوريد فجاءتها المدافع
وصار جيش كتشتر يتقدم الى الأمام حتى قار بالنهر والفتح المبين

وكانت خسائره ١٨ ضابطاً انجليزياً ما بين قبيل وجريح ومن الجند
خمسائة أما خسائر العدو ثلاثة آلاف رجل من الدراويش و ٤٠
أميراً وقد لاذ عثمان دفة بالفرار أما الأمير محمود فكان أسيراً

عاد كتشتر الى بربر وجمع الجند وزين ميدان الاجتماع بالاعلام
ووقف نحو طه أركان حربه والضباط وحي بالأمير محمود مغلول
اليدين وأجبر على أن يمر أمام الجند ووراء راية كتب عليها باللغة
العربية « هذا هو محمود الذي قال انه سيستولي على بربر »

أخذ كتشتر بعد المعدات للقيام بالحملة الأخيرة فبهزم مولى
الأمير محمود الذي وقف على كل شيء عنه من الفارين وخصوصاً
عثمان دفة والذي لا يزال حاشداً خمين ألف مقاتل في أم درمان
ولقد قال المستر بينت برلى في كتابه (السردار والخليفة)
« السردار السير هربرت كتشتر لم ينس شيئاً في سبيل أعداد
حماته الأخيرة » ويجدر بنا هنا أن نذكر حكاية يقال انها جرت
حقيقة والسردار بعد المعدات وخلص هزم الحكاية هو أن كتشتر
طلب من أولى الأمر في انجلترا ارسال نوع من المدافع فاقترحوا
عليه نوعاً آخر وأبلغته وزارة الحربية ان طراز المدافع الذي وقع
عليه اختيار أولى الأمر سيرسل اليه قريباً فكتب اليهم كتشتر

قتلاً « أشكركم وأرجوكم إبقاء المدافع عندي فاني سأحارب الدراويش
بألقاء الحجارة عليهم » وبمجرد وصول هذا الخطاب أرسلت له
وزارة الحربية ما اختار من المدافع

لما أنتم كنتم المعدات من ذخيرة ومواد تكفي مدة ثلاثة أشهر
ولما وصلت المدافع سافر واركان حربه الى أبي حمد وبدأ الزحف
على أم درمان وجيش الخليفة الموجود فيها وكانت هذه الحملة مؤلفة
من ٨٢٠٠ جندي انجليزى و ١٧٦٠٠ جندي وطنى ومهم ٨٠
مدفعاً و ٤٤ مكبماً ومن الحيوانات خيول وبغال وجمال الخ يقدر
عددتها بتسعة آلاف

تقع أم درمان على الضفة الغربية من النيل وتقابلها الخرطوم
على الشرقية . كان الخليفة فى أم درمان ولهذا سارت الحملة متجهة
نحو الغرب فى حين أن بعضاً آخرين من الحملة تحت رئاسة الماجور
ستوارت ودلى اتجهوا ناحية الشرق

أحاطت القوة الانجليزية بأمر درمان ومن فيها أحاطة السوار
بالمعصم وضيق عليهم الخناق حتى ألحقت بهم من الخسائر ٩ آلاف
درويش قتل وألف جريح أما خسارتها فأربعمائة قتيل وجريح
دارت رحى القتال فى أم درمان يوم الجمعة ٢ سبتمبر وقد طير

أنباء النصر فيها الى انجائنا المانجور ونجت ورفعت الاعلام — اعلام
النصر — فوق أم درمان وخرطوم وبعد معركة أم درمان وقعت
بين كنتشر ومارشان حادثة فاشودة الشهيرة التي أبدى فيها
السردار حزمًا عظيمًا وانتهت أخيراً بالاتفاق الذي عقد بين لورد
سالسبوري والمسيو كامبون بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٨٩٩

وفي يوم ٢٤ نوفمبر كانت معركة الجديد التي قتل فيها الخليفة
ورجاله المقر بون وقضى على شركة الدراويش في السودان وأنعمت
عليه جلالة الملك بلقب لورد من طبقة بارون ولقب لورد كنتشر
ألف خرطوم وأعطى مكافأة مالية تقدر بثلاثين ألف جنيه

وفي أواخر أكتوبر سنة ١٨٩٨ سافر كنتشر الى انجائنا وودعا
الشعب البريطاني الى الاكتاب بالمال لإنشاء كلية غوردون في
الخرطوم وقدر المال المطلوب بمائة ألف جنيه فاجاب الشعب بدعوته
وتبرع له بأكثر من ذلك

وفي يوم ٥ يناير وضع اللورد كرومر حجر الأساس لتلك الكلية
بم حضور مشايخ السودان وأعيانه

وفي ديسمبر سنة ١٨٩٩ أضيف الى لقب سردار الجيش المصري
الذي كان يلقب به اللورد كنتشر لقب الحاكم العام للسودان فأنتم

سكة الحديد الى الخرطوم وخطط تلك المدينة وفي يوم ١٠ يناير
سنة ١٩٠٠ سافر القطار الأول من حلقا الى عاصمة السودان

الفصل الثامن

في جنوب افريقيا

ان الحرب التي نشبت بين بريطانيا العظمى وبين البوير كانت
شديدة قاسية وفيها تمكن العدو من مضايقة ثلاث حاميات انجليزية
مضايقة يذكرها التاريخ كما ذكرت بلدة لاديمث ومكبرلي وبلدة
أخرى على مقربة من مافكنج ولقد قيل ان انجلترا لم تظهر لها
دلالة واضحة على عظمتها كالتى بدت في شهر ديسمبر الأسود كما
وصفه المستر جروسر في سنة ١٨٩٩

بعثت انجلترا الى ميدان هذه الحرب بزهرة نصر من أبنائها
وعملت فوق ما يظن أحد أن تعمل وما ذلك كله الا عن طيب
خاطر ورضا تام من الشعب الانجليزي الذي يعرف الواجب الوطني
ويؤديه قبل كل شيء

كان في ميدان الحرب مائة ألف رجل انجليزى ثم أرسل من
بعد مائة ألف أخرى والغالبية متطوعون والجود بالنفس أقصى غاية
الجود والذي تولى قيادة هذه القوة الهائلة بطل الحرب الهندية
والافغانية اللورد روبرتس أف كاندهار وقد عين اللورد كتشير
أف خرطوم رئيساً لأركان حربه وإن انضمام هذين البطلين من العالم
ويشر انجلترا بعز دائم ونعيم مقيم وكفى أن يكون دعامة هذا النصر
روبرتس القائد الأول في الجيش البريطاني وكتشير الذي نظر إليه
الناس عامة والانجليز خاصة بعين الاجلال والاكبار وأيقنوا أنه
قائد المستقبل

أشار لورد روبرتس الى اللورد كتشير في خطابه في سوثمبتون
بعد عودته من الترنتغال بقوله « لقد كان اللورد كتشير بصفته
أركان حربى يدي اليمنى في أثناء الحرب وأنه ليسرني أن أغتنم هذه
الفرصة للتعبير عما أنا مدين له من المشورة والمساعدة ولا أظن أحداً
كان يستطيع أن يعمل بالنشاط وعدم الكمال الذي عمل به لورد
كتشير ولا أظن أحداً كان بإمكانه ان يساعدني بالاخلاص الذي
ساعدني به »

ويروى عن لورد كتشير أن اللورد روبرتس دعا ذات يوم

ضابطاً برتبة كولونيل وعهد إليه قضاء عمل من الأعمال وسأله قائلاً
« متى تستطيع أن تقوم بهذا العمل » فأجاب الضابط « سأحاول
إتمامه في اسبوعين » فصرفه لورد روبرتس باسمًا وقال « أنا أعلم
أنك ستبذل جهدك »

وبينما كان ذلك الكولونيل خارجاً من عند اللورد روبرتس التقى
باللورد كتشنر فأخبره كتشنر ما أخبره الكولونيل بما كان
بينه وبين القائد العام فصدق به كتشنر وقال « اسمع يا كولونيل إن
لم يتم هذا العمل قبل اسبوع واحد نضطر أن ننظر في أمر إرجاعك
إلى إنجلترا » وهكذا تم العمل في اسبوع واحد

في يوم ٦ فبراير سنة ١٩٠٠ بدأ اللورد روبرتس واللورد كتشنر
بالزحف ناحية بلومفستين وبريتوريا وكان اللورد كتشنر هو الذي
أعد القوة التي اقتفت أثر كرونجي « Cronje » ودارت بينها وبينه
عند بلاد برج الموقعة التي سميت (موقعة كتشنر)

وفي يوم ٢٧ فبراير سلم كرونجي نفسه وبعد ذلك زحف اللورد
كتشنر بقوة من الفرسان إلى الشمال الغربي من ولاية الكاب
فطهرها من العصاة الثأرين

كان اللورد كتشنر ذات مرة نائماً في عربة من عربات السكة

الجديدة بأحدى المخططات وقد علم بذلك القائد البويري دي وت
فأرسل قوة في صبيحة يوم ١٤ يونيو لالتقاء القبض عليه وكاد يقع
في الشرك لولا أن الظروف ساعدته من حسن الخط فلاذ بالفرار
على ظهر جواد مطهم

وفي شهر نوفمبر علم أن اللورد روبرتس سيعود قريباً إلى إنجلترا
لتولي وظيفته الجديدة وهي القائد العام للجيش البريطاني وفي الأيام
الأخيرة من هذا الشهر برح الفرنسيون بعد أن سلم القيادة في
جنوب أفريقيا إلى رئيس أركان حربه اللورد كتشنر

بعد سفر اللورد روبرتس بأشهر قلائل اشتعلت نار الفتنة ثانية
في البوير واشتد طغيانها وهاجم دي وت ولاية الكاب على أمل أن
يحرك أهل الكاب بهجومه فيمدون له يد المساعدة ولكن خاب فيما
آمل وفي شهر فبراير ارتد الثائرون إلى الورا بخسائر فادحة ونشبت
شماهم في ولاية نهر الاورانج

طلب اللورد كتشنر من حكومته إرسال قوة جديدة وفي أوائل
فبراير بعد اعتلاء الملك ادوارد السابع عرش الامبراطورية الانجليزية
أعلنت وزارة الحربية أمر رسالة ٣٠ ألف جندي مسلحين بعدد
جديدة وما طلب هذه القوة ألا ليقضى القضاء المبرم على من أشعلوا

تار حرب ضروري دامت نحو ثلاث أو أربع سنوات كاملة وكانت
أقسى من الحرب الفرنسية الألمانية ومن الحرب الأهلية في أمريكا
في ٢٨ فبراير تقابل القائد بونا مع اللورد كينشن في مدبرج
للنظر في شروط الصلح وافترقا على غير جدوى واشتد أوار الحرب
حتى ان اللورد كينشن في شهر ديسمبر طلب ارسال تسعة آلاف
رجل آخرين فلبيت دعوته بواحد وستين ألفاً هذا عدا القوة التي
جاءت من جنوب افريقيا وتقدر بعشرة آلاف وبهذا تكون القوة
الانجليزية بالغة ٢٠٠ ألف جندي و ٤٥٠ مدفعاً

في شهر فبراير عام ١٩٠٢ أخذت بشار النصر تلوح للجيش
الانجليزي وأراد اللورد كينشن حصار دي وت الا انه تمكن من
النجاة وفي يوم ٧ مارس مرق طابور اللورد مشوين وعدده ١٢٠٠
جندي في الترنسفال الغربية وجرح اللورد وأسر وفي ٢٣ مارس
رفع عصاة البوير راية السلام وجاءوا الى بريتوريا للتشاور مع زعماء
ولاية الونداج الحرة وفي ٩ ابريل عقدت لجنة للمرة الثانية للبحث
في شروط الصلح في كلر كندورب وكانت اللجنة مكوّنة من المستر
ستابن والجنرال ديلاري ودي وت وفي ١٦ مايو عقدوا اجتماعاً آخر
في فرسنجنج وفي ١٨ مايو سافرت هذه اللجنة الى بريتوريا للتشاور

مع اللورد مانن واللورد كاتشر وفي ٢٩ مايو ورد رد الحكومة
الانجليزية وبهذا الرد أمضيت شروط الصلح في بريتوريا عند
منتصف ليلة ٣١ مايو

وفي يوم ٤ يونيو أبلغ وزير الخارجية اللورد كاتشر الرسالة الآتية :
« ان حكومة جلالة الملك تقدم لك عظيم التهناتي لأجل نشاطكم
وذكائكم وصبركم الذي به عجزتم بالقضاء على هذه الحرب وترجوكم
ان تبلغوا الجنود الذين تحت قيادتكم نهايتهم أيضاً جزاء ما أبدوه
من الشجاعة »

قال اللورد كاتشر اعجاب البرلمان الانجليزي وفاز بهمة قدرها
٥٥ ألف جنيه وقد قال عنه الماسر اسكويث « انه الجنرال بالصبور
العظيم »

وقيل ان يبرح التراسفال أولت له ولجبة فاخرة وقف فيها بين
المدعوين خطيباً قتيلاً وكلف المدعوون من خدموا معه في هذه
الحرب « ماذا تعلمتم في هذه الحرب » ان البعض قد تعلم الركوب
والصيد وكلهم تعلم ضرورة السرعة في الاستعداد التام واداء الخدمة
بصدق عند ساعة الخطر وتعلمتم كيف يكون الدفاع وانه واجب
الاحتفاظ بما فرتهم به . انكم لا تستطيعون نسيان اخوانكم الذين

حاربوا بجانبكم في عدة وقائع . علموا الناشئة التي نخلفكم كل ذلك .
استعدوا دائماً »

عاد اللورد كتشنر الى انجلترا فقبول . مقابلة لم تسبق لأحد من
القواد في تلك الأيام ورفى الى رتبة فيكونت

الفصل التاسع

في الهند

في سنة ١٩٠٦ عين اللورد كتشنر قائداً عاماً للجيش في الهند
وفي طريقه اليها زار مدينة الخرطوم وبعد مضي سنة من وصوله الى
الهند حدثت له حوادث مؤلمة لا محل لذكرها هنا ولكننا نستطيع
ذكر واحدة منها وهي انه ركب ذات مرة حصاناً من إحدى
البيوت الخلية على بعد ستة أميال من سملا قاصداً العودة الى
منزله وكان في الطريق نفق لما وجهه وكان ظلامه حالكة ارتعدت
فرائص الحصان فسهل شديداً وجرى مسرعاً على غير هدى
فصطدم اللورد صدمة عنيفة نتج منها أن عظمي راقه كسرتا
أصلح اللورد كتشنر نظام الجيش في الهند ووقع بينه وبين

اللورد كرزون حاكم الهند وقتئذٍ خلاف أدى الى استقالة الحاكم
يوم ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٥ بعد أن أعلنت الحكومة البريطانية
في شهر يونيو من السنة المذكورة موافقتها على رأى كتشنر فقبلت
الاستقالة وعين اللورد منتو حاكماً للهند خلفاً له

نظام كتشنر الجيش الهندي وأوجد فيه جنداً من مختلف القبائل
كالجرجاس - دراب الجند تدريجاً حسناً وقد ورد في مجلة الاسبيكتاتور
« ان فرق الجيش كانت تمتحن في كل فرع من التعاليم الحربية
أمام لجنة تواف لهذا الغرض من الضباط » . سلحت المدفعية
بمدافع ضخمة سريعة الطلقات ، انشئ في كويتا « Kuetta »

مركز رئيسي الأركان الحربية كما انشئ غيره في كامبرلي وزيد على
عدد الجيش ٣٥٠ ضابطاً في مختلف الدرجات

وفي شهر سبتمبر عام ١٩٠٩ عاد اللورد كتشنر الى انجلترا
وطلبت منه الحكومة الانجليزية زيارة استراليا ونيوزيلاندا لتفقد
معداتها الحربية وكتابة تقرير واف عنهما فبرع انجلترا متجهاً ناحية
الشرق ومرراً بالصين واليابان وفي الأخيرة قبول بما يفوق حد الوصف
ذهب الى استراليا وبعد تفقدها قرّر أنها لا تليق أن تذكر
الآ اذا أعدت معداتها بنفسها ثم ضاعفت القوة البرية والبحرية

من جهة الحصون والأسطول والرجال على الخصوص ثم أخذ يضع
مشروعاً يوئل استراليا في ظرف سبع سنوات أن يكون لها جيش
مؤلف من ٨٠ ألف جندي بقيادة ضباط كاخواتهم في الغرب

وكان مما فكر فيه أن تعلم الذكور القنون الحربية من يوم بلوغهم
١٢ سنة ثم ياتحقون بالجيش وهم بين سن الثامنة عشرة والثلاثين
من عمرهم

قصد اللورد كيتشنر نيوزيلاندا وهناك وضع لها مشروعاً لتكوين
جيش أعلى وفي شهر ابريل سنة ١٩١٠ عاد إلى إنجلترا منعماً عليه
برتبة فيلد مارشال

الفصل العاشر

في مصر ثانية

عاد كيتشنر إلى وطنه بعد غيابه مدة ثمان سنوات ولدى وصوله
أشيع أنه سيعين قائداً عاماً لقوات البحر الأبيض المتوسط التي
مركزها الرندي في مالطة خلفاً للدوق أف كنوت ولكنه أعلن في
شهر يونيو عدم صحة هذه الاشاعة وفي شهر أكتوبر عين عضواً

في لجنة الدفاع العام ولم تمضِ ستة واحدة على تعيينه هذا حتى مات
السير اللورد غورست خلف اللورد كرومر المعتمد البريطاني في
مصر فعرض أولو الأمر هذه الوظيفة السامية على اللورد كاتشر فقبلها
قدم الى مصر وأخذ يعمل الشيء الكثير مما دعا الأستاذ
جون نود في جامعة نوتنجهام الى الكتابة بعد اياه الى بلده من
مصر « انه غير معلم كل شيء في مصر » وجاء في جريدة الهندسيون
في شهر ابريل من سنة تعيينه « حدثني شيخ قدم من مصر قرياً
بأن حالة مصر تغيرت . خفت صوت جماعة الوطنيين وأخذت
الحالة الاقتصادية تتحسن أما الزراعة ففي تقدم مستمر »

أعمال اللورد كاتشر في مصر كثيرة لا محل لذكرها بالتفصيل
هنا إذ تقاريره تكفيها مؤونة ذلك ولكننا لا ننتع عن ذكرها مجملأً
فنقول انه بدل مجلس الشورى بالجمعية التشريعية وعمر الأرض البور
في شامة ووزعها على الفلاحين وسن قانون الخمسة أفدنة وقانون
التمهات الزراعية وحول ديوان الأوقاف الى وزارة وحول برنامج
التعليم في المدارس الى تعليم عملي وأصلح في القاهرة وكثير من المدن
الميادين والطرق والساحات ومهد الطرق بين المدن الكبرى
وكان يعرف أكثر أعيان المصريين وشيوخهم وعلمهم

في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ أطلق تلميذ اسمه برنزيب النار على
الأرشيدوق فرديناند فرديناند ولي عهد النمسا وعلى قرينته في أحد
شوارع سراييفو فقتلتهما فأرغدت النمسا وأزبدت وأرسلت إلى
صربيا تطالبها بمطالب كانت فوق المستطاع وأمهاتها يومين للجواب
وما كان من النمسا إلا أن أشهرت الحرب عليها ثم تلا ذلك أن
شهرت الحرب بين النمسا والمانيا من جهة وبين روسيا من جهة
أخرى وهاجمت المانيا فرنسا قبل أن تعلنها بالحرب واختيرت حياد
مقاطعة لكسمبرج ثم بلجيكا ولما كانت انجلترا مضطرة لحماية استقلال
البلجيكا لم يسعها إلا أن تشهر الحرب على المانيا وكان ذلك في
يوم ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ وفي يوم ٥ منه عين اللورد كاتشر في
المنصب الخطير — منصب وزير الحرب — وقد قابلت الأمة
الانجليزية هذا التعيين بالتهاج وفرح ما عليه من مزيد

بدأ عمله بأنه طالب من شيان الأمة التطوع فلبوا دعوته وكان
قد أعلن ذلك في مجلس البرلمان يوم ٦ أغسطس إذ قال « أنا في
حاجة إلى ٥٠٠ ألف جندي والآن يجب أن يكون ١٠٠ ألف
على أنتم استعدادكم ولم تمض ثلاثة أسابيع حتى كان جيش كاتشر »
تام العدد والعدد

لا تريد أن تتحدى لبقية أعمال كتشنر في هذه الحرب إذ
لا زالت الحرب ناشئة ونشوبها هذا يحول بيننا وبين إيلاء التقيد
حقه وبمجرد وضع الحرب أوزارها نبتن بجلاء ووضوح ما كان من
أعماله في السر والعلانية

شامت الأقدار أن يختم حياته بالعمل المجيد في ميدان الدفاع
الوطني — ميدان الشرف — وقد افتتح تاريخه بأعمال جليلة
واختتمه بأجل ما تختم به حياة طليحة بكل عمل يذكر فيشكر

الفصل الحادي عشر

متفرقات عن اللورد

١٨

ذهب اللورد قبيل غرقه بأيام قلائل إلى شركة تجارية مشهورة
في لندن لابتاع شيئاً فوجد الثمن فوق ما كان يظن
لاحظ ذلك رئيس الشركة الذي يعرف اللورد حق المعرفة
فقال له

« يا جناب اللورد . ان اتمن مرتفع لمناسبة سوء الحالة الحاضرة »

أجاب اللورد

« معاهش يا سيد . الحالة ستكون حسنة في ظرف ثلاثة أشهر »

٢

لم يأل اللورد قط للنساء وقد حدث انه تقابل مع سيدة انجليزية على ظهر باخرة وحصل بينهما التعارف وعرفها اللورد بصديق له
اجتمع اللورد بصديقه وقال له « لو أردت الزواج فيجب أن
أتزوج سيدة مثل هذه »

سأله الصديق « لماذا ؟ »

أجاب اللورد « انها سيدة حساسة عاقلة »

٣

ذهب اللورد يوماً لزيارة صديق له في منزله وفيما هما يتجولا في
في أنحاء حديقة المنزل وقف اللورد أمام شجرة صغيرة وقال « ان
منظرها يبهج ورائحتها عطرية »

قال الصديق « سأبحث بها اليك في بروم »

« قال اللورد « أما وقد أعدتنيها فاتصحبني في مركبتى » وفعلاً

أخذها اللورد عند خروجه من المنزل

٤

لما كان اللورد في بلاد الهند بعث اليه جماعة من أصدقائه خطاباً
يتضمن ان ما يتناولونه من الخبز في جنوب افريقيا انما هو من قمح
غير جيد ويرجونه ان يرسل اليهم حبوب قمح جيد فأورد له
ذهب اللورد بعد ذلك بسنين عدة الى بعض البلاد الشمالية
الشرقية في افريقيا فعلم من المزارعين ان قمحهم يسمى (قمح كتشير)
ولما سأل عن السبب أجيب بأن حبوبه من جنوب افريقيا فتذكر
ما كان قد غاب عنه وقال «لقد أطلق اسم جدى على شعير واسمى
اليوم يطلق على قمح»

٥

دار حديث بين مندوب جريدة الديلى كرونيكل وبين صديق
للورد فقال الأخير :

« ان اللورد شفق جداً وأؤكد انه أشفق من عرفت طول
حياتى . محب للحق . وديع . لم يكن ميالاً للهو . لم يفكر فى امرأة .
كان يسلى نفسه كثيراً بتلك الأقاصيص والنبوءات التى يتحدث
بها القوم عنه بمجرد ذكر اسمه »

٦

كان بين الذين أتوا اللورد كشر في مجلس الأعيان اللورد
فرنس وقد قال في ختام تأييده « لما ثبتت الحرب واتجهت الأنظار
إلى تعييني قائداً للقوات البريطانية في فرنسا قصدت اللورد كشر
وأخبرت عليه في مقابلة المستر اسكويث لكي يقامه (أي كشر)
منصب قيادة الجيش في فرنسا وعلى أن أكون رئيساً لأركان حربه
ولكني لم أفر في إقناعه ولم يكن يخطر ببال كشر حينئذ إصناد
وزارة الحربية إليه »

٧

لما عرض المستر اسكويث رئيس الوزارة الانجليزية على مجلس
العموم إقامة أثر للورد كشر قال « إن اسم اللورد كشر لا ينفصل
عن اسم اللورد كرومر فهما قائما بنا كبر عمل ثم في هذا العصر
بتحرير القطر المصري وإنهاضه وفتح السودان وتعميره »

٨

كتب اللورد كرومر مقالاً عن اللورد كشر جاء فيها « حدث
في صيف ١٨٩٧ أنني كنت في لندن عند ما سار اللورد كشر في
النبيل على أمل مقابلة الكاتبين مارشال الفرانسوي ولأسباب وقفت

التعليات التي كانت مرسلة له وكنت أقول انه يستحيل على من كان في لندن أن يبدى حكماً في حالة اللورد كتشنر في فاشودة وكنت ألح في تقدير نتائج هذه المقابلة وكنت أرى ان الواجب يقضى بعدم ارسال تعليقات مفصلة مهما كانت قيمتها وان نثق كل الثقة بمحذقه ومهارته وكان اللورد سالسبوري وزيراً للخارجية فوافق رأيي واتبعه

وقد أصبح من الأمور الثابتة في التاريخ ان اللورد كتشنر برّر هذه الثقة اذ سار في حل المسألة بطريقة حكيمة جعلتنا نذكر انا مدينون لحكمته »

٩

لما عين اللورد كتشنر في بلاد البوير قائداً عاماً بدل اللورد روبرتس الذي عاد الى انجلترا أعلن اللورد كتشنر الأحكام العرفية وكان مما يقضيه عدم الخروج من الدور بعد الساعة الثامنة مساءً فلم يرق ذلك لسيدة كانت تقيم حيث يقيم اللورد وأركان حربها فذهبت اليه وأبلغته انها تعودت النزهة قليلاً بعد تناول العشاء في هذه الساعة وصارت تتردد على اللورد وأركان حربها محتجة بشدة وأخيراً نشر اللورد كتشنر النشرة التالية :

« أجبز للسيدة . . . ان نمشي في الشوارع طول الليل » هذا
أما ما كان من أمر السيدة فلنفا سافرت من البلدة في اليوم الثاني

١٠

خرج اللورد كتشنر في يوم السبت آخر أيامه في هذه الحياة من
مكتبه بعد ان قضى أسبوعاً كاملاً في وزارة الحربية وقال لسائق
سيارته « الى بروم بارك » وهو يستأن يتخلف اليه اللورد طلباً للراحة
كما سنحت له الفرص

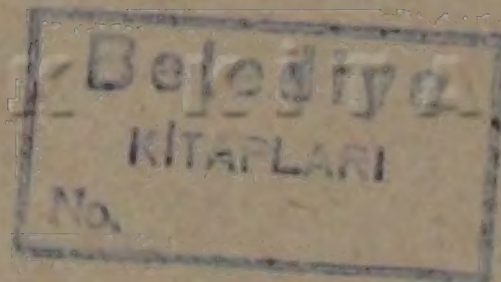
قضى فيه قليلاً من الزمن ثم عاد الى الوزارة وأعد معدات السفر
وأسرع الى المحطة فركب القطار الى الشمال ولما ركب البحر قضى
ساعتين والأمواج تلاحم السفينة بشدة في البحر الشمالى ولا بد انه
لم يرهبه شدة التلاحم اذ كان قد صرح لأحد وكلاء شركة هافاس
قبل غرقه بثلاثة أشهر قائلاً « ان موتى لا يكون الا وأنا على ظهر
بالخرة »

١١

لم يترك اللورد ورثة له الا أخوه الاكبر هنرى اليوت شفالير
كتشنر والوريث الثانى هو ابن الأخ هنرى فرانكلان شفالير
كتشنر الذى ولد عام ١٨٧٨

ان وصية اللورد كتشنر عبارة عن ٤٣٢٩ كلمة مؤرخة بتاريخ
٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ وموصى بفتحها بعد وفاته بشهر من الزمان
والذى حررها المستر ارثر هنرى رنشوات والنجتن بارك باكسفورد
والجرتون هنرى ملز القاطن بمنزل نمرة ٦٧ بشارع لومبارد
أوصى بالقسم الاكبر من أملاكه لابن أخيه وأوصى بكل أملاكه
فى افريقيا الشرقية للكولونيل فينز جرالڊ الذى مات غريقاً فى حادثة
همشير وأوصى استة من أركان حربه الخاص بمئتى جنيه لكل
منهم وفيهم الجنرال بردوود وتقدر ثروته بمبلغ ١٧١٤٢٠ جنيهاً

« انتهى »



Bu eserin;
kataloglanması, dijital ortama aktarılması ve
elektronik ortamda kullanıma sunulması
İstanbul Kalkınma Ajansı (İSTKA)'nın desteğiyle
İBB Kültür ve Sosyal İşler Daire Başkanlığı
Kütüphane ve Müzeler Müdürlüğü (Atatürk Kitaplığı)
tarafından gerçekleştirilmiştir.

Proje No	:	İSTKA/2012/BIL/233
Destek Programı	:	Bilgi Odaklı Ekonomik Kalkınma Mali Destek Programı
Projeyi Destekleyen	:	İstanbul Kalkınma Ajansı (İSTKA)
Proje Adı	:	Osmanlı Dönemi Nadir Eserlerin Kataloglanması, Dijital Ortama Aktarılması ve Elektronik Ortamda Kullanıma Sunulması
Proje Sahibi Kuruluş	:	İBB Kültür ve Sosyal İşler Daire Başkanlığı
Proje Yüklenicisi	:	Yordam BT Ltd. Şti.
Proje Uygulama Yeri	:	Kütüphane ve Müzeler Müdürlüğü - Atatürk Kitaplığı İSTANBUL – Beyoğlu